جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

اللآلئ والدرر في علم خواتم السور

" نماذج تطبيقية "

الجزء الثاني

إعداد الدكتور

أحمد حامد محمد سعيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
بجامعتي الأزهر الشريف والطائف

اللآلئ والدرر في علم خواتم السور "نماذج تطبيقية" الجزء الثاني

أحمد حامد محمد سعيد
الأستاذ بجامعتي الأزهر الشريف والطائف
البريد الإلكتروني: Ahmedsaid1971@yahoo.com

ملخص البحث

هذا البحث يعد تأصيلا لعلم جديد هو علم خواتم السور أو أواخرها تأسيا بعلم فواتح السور أو أوائلها، ويكشف النقاب عما تضمنتها خواتم سور القرآن الثلاثة (النساء والمائدة والأنعام) محل البحث من لآلئ ودرر، وأسرار وكنوز، ودقائق ولطائف.

يهدف البحث إلى إبراز الإعجاز القرآني الدقيق في خواتم السور كما هو جلي في بداياتها، وإخراج بحث أو عدة أبحاث – حسب توفيق الله تعالى لنا ثم حسب جهدنا– في أسرار خواتم السور يفيد الأمة الإسلامية ويربطها بكلام ربها (ﷻ)، وتكملة ما ابتدأناه في هذا الموضوع وإتمامه حتى آخر سور القرآن الكريم إن شاء الله (ﷻ)، وإثراء المكتبتين القرآنية والإسلامية بأبحاث تتعلق بخواتم السور وما فيها، وما تضمنته من أسرار ومعارف، وما احتوته من درر ولطائف.

المنهج المعتمد في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي حيث يقوم على جمع خواتم السور القرآنية الكريمة محل البحث، وما ذكره العلماء فيها من أسرار ولطائف، وفرائد وفوائد، وجمعها وتحليلها وترتيبها وتنسيقها، كما اعتمد البحث على المنهج الاستنباطي الذي أضاف إلى اللآلئ والدرر أسرارا كثيرة وفوائد عديدة.

أهم نتائج البحث أن القرآن الكريم بحر مليء باللآلئ والدرر ... في الآيات والسور، وأن الغرض من دراستنا وبحثنا لموضوع علم الخواتم هو إبراز ما فيها من حكم ولطائف، ودقائق ومعارف، وأسرار وفوائد... وما يترتب على ذلك كله من إعجاز التنزيل العزيز، وأن الحكم والأسرار والفوائد التي وقفنا عليها من خلال النماذج التي ذكرناها لعلم الخواتم هي غيض من فيض، وقُل من كثر من حكم شتى وأسرار عدة وفوائد كثيرة، وأن هذا الموضوع أبان عن مزج عميق وربط دقيق بين عِلْمين جليلين لا غناء لنا عنهما، هما علوم القرآن الكريم وعلم التفسير، ولا ريب أن العلاقة بينهما قديمة، وليست جديدة، وإنما مقصدنا من ذلك هو إخراج هذا المزج والترابط إلى عالم الواقع وتجسيده أمام الناس يقرؤونه ويرونه ويوقنون به.

الكلمات المفتاحية: لآلئ، ودرر، وعلم، وخواتم، وسور، وإعجاز.

Pearls and pearls in the science of the rings of the fence "Applied models" The second part

Ahmed Hamed Mohamed Saeed,
Professor at Al-Azhar Al-Sharif University and Al-Taif University
Email: Ahmedsaid1971@yahoo.com

Abstract:

This research is considered as rooting for a new science, which is the science of the chapters of the chapters or their end, based on the science of the chapters of the chapters or their beginnings, and it reveals what was included in the chapters of the three chapters of the Qur'an (women, al-Ma'idah, and al-An'aam), the subject of research, such as pearls and pearls, secrets and treasures, and subtleties and subtleties.

The research aims to highlight the precise Quranic miraculousness in the Seals of the Walls, as it is evident in its beginnings, and to produce a research or several researches - according to God Almighty's success for us and then according to our effort - in the secrets of the Seals of the Walls that benefit the Islamic nation and link it to the words of its Lord (PBUH), and complement what we started in this. The topic and its completion until the last surah of the Noble Qur'an, God willing (PBUH), and the enrichment of the Qur'anic and Islamic libraries with research related to the rings of the surahs and what is in them, and the secrets and knowledge they contain, and the pearls and charms they contain.

The approach adopted in the research is the descriptive and analytical approach, as it is based on collecting the rings of the noble Qur'anic chapters in question, and what the scholars mentioned in them of secrets, delicacies, benefits, and benefits, and collecting, analyzing, arranging, and coordinating them. .

The most important results of the research are that the Holy Qur'an is a sea full of pearls and pearls...in the verses and surahs, and that the purpose of our study and research on the subject of the science of the rings is to highlight what is in it of wisdom and subtleties, subtleties and knowledge, secrets and benefits... and the consequent miraculousness of all of this. And that the ruling, secrets and benefits that we found through the models that we mentioned for the science of the rings are the tip of the iceberg, and say that there are many different rulings and many secrets and many benefits, and that this topic revealed a deep mixing and careful linking between two great sciences that we have no need of, they are sciences The Holy Qur'an and the science of interpretation, and there is no doubt that the relationship between them is old, not new, but rather our intent is to bring this mixture and interdependence into the realm of reality and embody it in front of people who can read it, see it and believe in it.

Keywords: Pearls, Pearls, Flag, Rings, Wall, Miracle.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير النبيين، وسيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فهذا هو البحث الثاني بين يديك -أخي القارئ الكريم- من حيث الترتيب في بيان درر وأسرار علم خواتم سور القرآن الكريم - ضمن السلسلة الميمونة المباركة- تأسيا بما لعلم الفواتح من أسرار وكنوز، ودقائق ولطائف... والذي يتحدث عن أسرار خواتم سور القرآن الثلاثة (النساء والمائدة والأنعام) - إثر البحث الأول والذي جلينا فيه نتفا من درر وخواتيم سور (الفاتحة والبقرة وآل عمران)- نتحفك به، بعد أن منَّ الله - تعالى- به؛ فيسر له، وهدى إليه، وأكرمنا بمعايشته وقتا طويلا، ومدارسة كتابه حينا جميلا ... وقد أسميناه **(اللآلئ والدرر في علم خواتم السور، نماذج تطبيقية- الجزء الثاني)**.

ومن فضل الله (ﷻ) وكرمه أن وفقنا للإسهام به في المؤتمر العلمي الدولي الثالث المبارك لكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية بالاشتراك مع (كلية القرآن الكريم وعلومه بطنطا، وكليات أصول الدين والدعوة بطنطا والزقازيق والمنصورة،) وعنوانه **(النتاج العلمي التراثي والمعاصر في مرايا الباحثين)** والذي سيعقد-بمشيئة الله تعالى- في الفترة من الأحد إلى الإثنين ١٣، ١٤ من شهر شعبان ١٤٤٤هـ الموافق ٥، ٦ من مارس ٢٠٢٣م بالقاعة الكبرى، قاعة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب للمؤتمرات بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

بالمنوفية، وقد جاء ضمن المحور الثاني: النتاج العلمي التراثي والمعاصر في مجال التفسير وعلوم القرآن: عرض ونقد.

ولا يخفى عليك -أيها القارئ المفضال- ما للخواتم القرآنية من أهمية بالغة، وآثار عديدة، وفوائد شتى لا تحصى، ولا تعد، ولا تستقصى...

منها: ما يرجع إلى ارتباطها بأول السورة ذاتها، أو سياقها وجوها، أو الآيات التي قبلها، **ومنها:** ما يتناسق مع أول السورة التي قبلها، أو سياقها، أو أواخرها، **ومنها:** ما يكون له انسجام وطيد مع أول السورة التالية، أو وسطها، أو أواخرها، **ومنها:** ما يرجع إلى التلاحم مع موضوعات السور، **ومنها:** ما يوقفنا على فضل خاتمة السورة ومكانته ومنزلته، **ومنها:** ما يلفت أنظارنا إلى إعجاز قرآني كريم في خاتمة السورة من حيث الأسلوب أو التركيب، أو السياق..... إلخ ما سيأتي تفصيله وتوضيحه، ونقف عليه في ثنايا البحث -بعون الله تعالى وتوفيقه-.

وقد دعانا لمواصلة الكتابة في هذا الموضوع عدة أسباب، نذكر منها:

١- عدم وجود أبحاث تتحدث عنه سواء على الساحة الإسلامية أو القرآنية، أو مؤلفة وموجودة في مكتباتهما.

٢- الاهتمام بفواتح السور القرآنية دون خواتمها.

٣- معرفة ما في الخواتم من أسرار ولطائف، ودرر وفرائد.

٤- الوقوف على بعض فضائل خواتم السور القرآنية.

٥- بيان الترابط العجيب بين الخواتم والفواتح من ناحية، وبين الخواتم -أيضا- والخواتم السابقة واللاحقة من ناحية أخرى.

٦- بيان ارتباط موضوعات السور القرآنية بخواتمها.

٧- إخراج هذه اللآلئ والدرر في سلسلة مترابطة، وأبحاث متتالية، متحدة المنهج، جلية المعالم، واضحة الهدف للمكتبتين القرآنية والإسلامية - بإذن الله تعالى-.

ولسائل أن يسأل: وما الهدف من هذا البحث، وما الغرض من إبراز أسرار خواتم سور القرآن الكريم –عامة–؟ ونقتطف من الجواب هذه النقاط التالية:

١– بيان بعض الأسرار والفوائد التي تضمنتها خواتم السور التي هي موضوع البحث.

٢– إعلام المسلمين –عامة– والمتخصصين –أيضا– أن خواتم السور القرآنية كالفواتح –سواء بسواء–.

٣– إبراز الإعجاز القرآني الدقيق في خواتم السور كما هو جلي في بداياتها.

٤– إخراج بحث أو عدة أبحاث –حسب توفيق الله تعالى لنا ثم حسب جهدنا– في أسرار خواتم السور يفيد الأمة الإسلامية ويربطها بكلام ربها (ﷻ).

٥– تكملة ما ابتدأناه في هذا الموضوع وإتمامه حتى آخر سور القرآن الكريم إن شاء الله (ﷻ).

٦– إثراء المكتبتين القرآنية والإسلامية بأبحاث تتعلق بخواتم السور وما فيها، وما تضمنته من أسرار ومعارف، وما احتوته من درر ولطائف ...

هذا وقد اقتضت خطة البحث أن يقسم إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

<u>أما المقدمة</u> – وهي التي نحن بصددها–: فقد أومأنا فيها إلى أهمية الموضوع، وأسباب مواصلة الكتابة فيه، وأهدافه، وخطة البحث فيه، والمنهج المتبع فيه.

<u>وأما المبحث الأول</u>: فقد عرضنا فيه للآلئ ودرر ختام سورة النساء.

<u>وأما المبحث الثاني</u>: فقد عرضنا فيه للآلئ ودرر ختام سورة المائدة.

<u>وأما المبحث الثالث</u>: فقد عرضنا فيه للآلئ ودرر ختام سورة الأنعام.

<u>وأما الخاتمة</u>: فقد احتوت على أهم النتائج والتوصيات.

وأما عن المنهج الذي سلكناه فيه: فنجمله فيما يلي:

- حصـــر خواتم السور القرآنية الكريمة الثلاثة.
- كتابة خاتمة أو خواتم كل سورة من السور الجليلة.
- وضع عنوان لكل خاتمة هو: لآلئ ودرر ختام سورة ... وذكر اسم السورة.
- بيان الأسرار والدرر، والحكم والدقائق التي ينطوي عليها ختام كل ســـورة وهذا هو بيت القصيد ولب البحث.
- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها مع ذكر رقم الآية.
- تخريج الأحاديث النبوية العطرة مع ذكر اسمي الكتاب والباب ورقم الحديث ورقمي الجزء والصفحة والحكم على الحديث -قدر المستطاع - إن لم يكن في الصحيحين، فإن كان فيهما فيكتفى بذكر اسمي الكتاب والباب ورقمي الجـــزء والصفحة.
- عزو الأقوال إلى مصادرها مع ذكر اسم الكتاب ومؤلفه -أول مرة- ورقـــم الصفحة.

وأخيرا: نسأل الله -تعالى- العون والمدد والرشـــاد، والتوفيـــق والـــسداد، والإخلاص في القول والفعل، وأن ينفعنا به ... وأن يسدد على طريـــق الحـــق خطانا، وأن يرضى عنا ويرضينا؛ فهو (ﷻ) بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله -تعالى- وأنعم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول

لآلئ ودرر ختام سورة النساء[١]

والختام هو قوله –تعالى–: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.

وفى الختام بهذه الآية درر شتى، وأسرار عديدة، نقتبس منها –بإذن الله تعالى– ما يلي:

* **<u>أن هذا الختام مناسب لأول السورة تمام التناسب</u>**، وذلك من وجوه ثلاثة:

<u>أولها</u>: ما ذكره العلامة الفخر (رحمه الله) في قوله: (اعلم أنه –تعالى– تكلم في أول السورة في أحكام الأموال، وختم آخرها بذلك ليكون الآخر مشاكلا للأول، ووسط السورة مشتمل على المناظرة مع الفرق المخالفين للدين، قال أهل العلم: إن الله –تعالى– أنزل في الكلالة آيتين: إحداهما في الشتاء وهي التي في أول هذه السورة، والأخرى في الصيف وهي هذه الآية)[٢].

<u>وثانيها</u>: قوله (رحمه الله) –أيضا–: (واعلم أن في هذه السورة لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله –تعالى– فإنه قال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾[٣] وهذا دال على سعة القدرة، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم وهو قوله: ﴿**وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾

---

(١) آية /١٧٦.

(٢) مفاتيح الغيب للعلامة الفخر ٥٤١/١٠.

(٣) النساء /١.

وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية والإلهية والجلالة والعزة، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعا للأوامر والنواهي منقادا لكل التكاليف)[1].

وثالثها: ما جلاه الإمام البقاعي (رحمه الله) في كلامه الطويل، ونصه: (ووضع هذه الآية هنا إشارة منه إلى أن من أبى توريث النساء والصغار الذي تكرر الاستفتاء عنه فقد استنكف عن عبادته واستكبر وإن آمن بجميع ما عداه من الأحكام، ومن استنكف عن حكم من الأحكام فذاك هو الكافر حقا، وهذا مراد شياطين أهل الكتاب العارفين بصحة هذه الأحكام، الحاسدين لكم عليها، المريدين لضلالكم عنها لتشاركوهم في الشقاء الذي وقع لهم لما بدلوا الأحكام المشار إليهم -بعد ذكر آيات الميراث وما تبعها من أحوال النكاح- بقوله: ﴿**يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾[2]، وقوله: ﴿**وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً**﴾[3]، ثم المصرح بهم في قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ * وَاللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ**﴾[4]؛ ولذلك -والله أعلم- ختم هذه الآية بقوله: ﴿**يُبَيِّنُ اللّهُ**﴾ أي الذي أحاط بكل شيء قدرة وعلماً: ﴿**لَكُمْ**﴾ أي: ولم يكلكم في هذا البيان إلى بيان غيره، وقال مرغباً مرهباً: ﴿**أَن**﴾ أي: كراهة أن: ﴿**تَضِلُّواْ وَاللّهُ**﴾ أي: الذي له الكمال كله: ﴿**بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ أي: فقد بين لكم بعلمه ما يصلحكم بيانه محياً أو مماتاً، دنيا وأخرى، حتى جعلكم على المحجة البيضاء في مثل ضوء النهار، لا يزيغ عنها منكم إلا هالك، والحاصل أن تأخير هذه الآية إلى هنا لما تقدم من أن تفريق القول فيما تأباه النفوس وإلقاءه شيئا فشيئا

---

(١) مفاتيح الغيب ٥٤٣/١٠، والبحر المحيط للعلامة أبي حيان ٣٣٩/٤.

(٢) النساء /٢٦.

(٣) النساء /٢٧.

(٤) النساء /٤٤، ٤٥.

باللطف والتدريج أدعى لقبوله، وللإشارة إلى شدة الاهتمام بأمر الفرائض بجعل الكلام فيها في جميع السورة أولها وأثنائها وآخرها، والتخويف من أن يكون حالهم كحال المنافقين في إضلال أهل الكتاب لهم بإلقاء الشبهة وأخذهم من الموضع الذي تهواه نفوسهم ومضت عليه أوائلهم، وأشربته قلوبهم، والترهيب من أن يكونوا مثلهم في الإيمان ببعض والكفر ببعض، فيؤديهم ذلك إلى إكمال الكفر؛ لأن الدين لا يتجزأ، بل من كفر بشيء منه كفر به جميعه، ومن هنا ظهرت مناسبة آخر هذه السورة لأولها؛ لأن أولها مشير إلى أن الناس كلهم كشيء واحد، وذلك يقتضي عدم الفرق بينهم إلا فيما شرعه الله، وآخرها مشير إلى ذلك بالتسوية بين النساء والرجال في مطلق التوريث بقرب الأرحام وإن اختلفت الأنصباء، فكأنه قيل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً**﴾[1] وسوى بينهم فيما أراد من الأحكام فإنه من استكبر -ولو عن حكم من أحكامه- فسيجازيه يوم الحشر، ولا يجد له من دون الله ناصرا، ولا يخفى عليه شيء من حاله، وما أشد مناسبة ختامها بإحاطة العلم لما دل عليه أولها من تمام القدرة، فكان آخرها دليلاً على أولها؛ لأن تمام العلم مستلزم لشمول القدرة ... ولختام أول آية فيها بقوله: ﴿**إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾[2] أي: وهو بكل شيء من أحوالكم وغيرها عليم، فلا تظنوا أنه يخفى عليه شيء وإن دقَّ، فليشتد حذركم منه ومراقبتكم له)[3].

(١) النساء /١.

(٢) النساء /١.

(٣) نظم الدرر للإمام البقاعي ٣٢٣/٢ بتصرف يسير.

* **أن هذا الختام مناسب لختام سورة الأنفال -وهي التي تقع بعدها بثلاث سور-؛ إذ كل منهما يتحدث عن المواريث.**

قال الإمام ابن عطية (رحمه الله): (والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال[1]، أنزلها الله في أولي الأرحام)[2].

* **أن في هذا الختام دلالة على انتهاء الأحكام، وأنه آخر الكلام فيما يتعلق بالسورة الكريمة.**

قال الإمام الطاهر (رحمه الله): (**وقوله:** ﴿**وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ تذييل، وفي هذه الآية إيذان بختم الكلام كقوله: ﴿**هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ**﴾[3] الآية، وكقوله -تعالى- في حكاية كلام صاحب موسى: ﴿**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**﴾[4] فتؤذن بختام السورة وتؤذن بختام التنزيل إن صح أنها آخر آية نزلت كما ذلك في بعض الروايات[5]، وإذا صح ذلك فلا أرى اصطلاح علماء بلدنا على أن يختموا تقرير دروسهم بقولهم: (والله أعلم) إلا تيمنا بمحاكاة ختم التنزيل)[6].

---

(١) آية (٧٥)، وهي قوله -تعالى-: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ ...**﴾.

(٢) المحرر الوجيز للعلامة ابن عطية ٢/٢٣٠.

(٣) إبراهيم /٥٢.

(٤) الكهف /٨٢.

(٥) وهذا قول مرجوح؛ فقد حملت الآخرية -على قول الجمهور- على التقييد، أي: أنها آخر ما نزل فيما يتعلق بأحكام المواريث، والقول الراجح في آخر ما نزل من القرآن الكريم مطلقا هو قوله -تعالى-: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ...**﴾ البقرة/٢٨١ حيث نزل قبيل وفاته (رحمه الله) بتسع ليال فقط.

(٦) التحرير والتنوير للعلامة الطاهر ابن عاشور ٦/٦٨ بتصرف.

* **أن في هذا الختام إيماء إلى الموت الذي هو نهاية الإنسان، وفي ذلك تذكير له حتى لا يظلم أو يجور في الميراث أو غيره، كما أنه آخر ما نزل من الأحكام فيما يتعلق بالمواريث.**

وهذا؛ لأن (حسن الختام في هذه السورة أنها ختمت بآية الفرائض، وفيها أحكام الموت الذي هو آخر أمر كل حي، وهي -أيضا- آخر ما نزل من الأحكام ﴿**وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ من الأشياء التي من جملتها أحوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم ﴿**عَلِيمٌ**﴾ مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم)[1].

* **أن في كون هذه الآية ذيلا للسورة الكريمة فائدة جليلة.**

وقد جلاها الشيخ رشيد رضا (رحمه الله) **بقوله:** (وَأَمَّا الْآيَةُ الْأَخِيرَةُ مِنْهَا: فَهِيَ ذَيْلٌ لِلسُّورَةِ فِي فَتْوَى مُتَمِّمَةٍ لِأَحْكَامِ الْفَرَائِضِ الَّتِي فِي أَوَائِلِهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا غَيْرَ مَرَّةٍ الْحِكْمَةَ فِي أُسْلُوبِ الْمَزْجِ فِي الْقُرْآنِ، وَأَمَّا فَائِدَةُ الْأَحْكَامِ أَوِ الْمَسَائِلِ الَّتِي تُجْعَلُ ذَيْلًا أَوْ مُلْحَقًا لِكِتَابٍ أَوْ قَانُونٍ ؛ فَهِيَ أَنَّ الذِّهْنَ يَتَنَبَّهُ إِلَيْهَا أَفْضَلَ تَنَبُّهٍ، فَلَا يَغْفُلُ عَنْهَا كَمَا يَغْفُلُ عَمَّا يَكُونُ مُنْدَمِجًا فِي أَثْنَاءِ أَحْكَامٍ أَوْ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ، فَكَأَنَّ جَعْلَ هَذِهِ الْآيَةِ مُفْرَدَةً عَلَى غَيْرِ فَوَاصِلِ السُّورَةِ يُرَادُ بِهِ تَوْجِيهُ النُّفُوسِ إِلَيْهَا لِئَلَّا تَغْفُلَ عَنْهَا، وَهَذَا الْأُسْلُوبُ صَارَ مَأْلُوفًا هَذَا الْعَصْرَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أُمَمِ الْعِلْمِ، حَتَّى فِي الْمُرَاسَلَاتِ الْخَاصَّةِ يَجْعَلُونَ لِلرِّسَالَةِ ذَيْلًا يُسَمُّونَهُ حَاشِيَةً، كَمَا يَكُونُ مِمَّنْ نَسِيَ مَسْأَلَةً ثُمَّ تَذَكَّرَهَا بَعْدَ إِتْمَامِ الرِّسَالَةِ وَإِمْضَائِهَا بِكِتَابَةِ اسْمِهِ فِي آخِرِهَا، وَهُمْ يَتَعَمَّدُونَ ذَلِكَ كَثِيرًا ؛ لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْغَرَضِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ)[2].

---

(١) روح المعاني للإمام الألوسي ٣٥٥/٤ بتصرف يسير.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للشيخ محمد رشيد رضا ٩٥/٦.

* **أن هذا الختام الجليل له سبب نزول.**

وهو ما رواه الشيخان – واللفظ للإمام البخاري– في صحيحيهما[١] بسندهما عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله (ﷺ) وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَبَّ عَلَيَّ، فَعَقَلْتُ فَقُلْتُ: إِنَّهُ لَا يَرِثُنِي إِلَّا كَلَالَةً فَكَيْفَ الْمِيرَاثُ؟ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ.

وعَنْ سَعِيدِ بن المسيب قال إن عمر (رضي الله عنه) سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَيْفَ نُوَرِّثُ الكلالة فقال (ﷺ): "أو ليس قَدْ بيّن الله –تعالى– ذَلِكَ ثُمَّ قَرَأَ ﴿**وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كلالة**﴾[٢] إلى آخرها فكأن عمر (رضي الله عنه) لَمْ يَفْهَمْ فأنزل الله –تعالى– ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ**﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فكأن عمر (رضي الله عنه) لَمْ يَفْهَمْ فقال لحفصة (رضي الله عنها) إذا رأيت من رَسُولَ اللَّه (ﷺ) طَيِّبَ نَفْسٍ فَاسْأَلِيهِ عَنْهَا فَرَأَتْ مِنْهُ طِيبَ نَفْسٍ فَسَأَلَتهُ عَنْهَا فَقَالَ (ﷺ): أَبُوكِ كَتَبَ لَكَ هَذَا، مَا أَرَى أَبَاكِ يَعْلَمُهَا أَبَدًا، فكان عمر (رضي الله عنه) يَقُولُ: مَا أُرَانِي أَعْلَمُهَا أَبَدًا وَقَدْ قَالَ (ﷺ) مَا قَالَ"[٣].

قال شيخنا الدكتور طنطاوي (رحمه الله): (ويبدو أن عددا من الصحابة قد سألوا النبي (ﷺ) في شأن ميراث الكلالة في أزمنة متفرقة فنزلت هذه الآية للإجابة عن أسئلتهم المتعلقة بها)[٤].

---

(١) الإمام البخاري ك المرضى باب وضوء العائد للمريض (٥٣٥٢) ٢١٤٨/٥، والإمام مسلم ك الفرائض باب ميراث الكلالة (١٦١٦) ١٢٣٤/٣.

(٢) النساء /١٢.

(٣) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ١٧/٨، وقال المحقق: صَحِيحٌ إِنْ كَانَ ابْنُ الْمُسَيبِ سَمِعَهُ من حفصة (رضي الله عنها).

(٤) التفسير الوسيط لشيخنا الجليل أ.د/ محمد سيد طنطاوي ٤١٠/٣.

* **أن هذه الآية هي آخر ما نزل في الكلالة، وآخر آيات الفرائض.**

روى الإمام البخاري في صحيحه(١) **بسنده عَنِ البَرَاءِ (ﷺ) قَالَ:** "آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ خَاتِمَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ**﴾"، قال الشيخ رشيد رضا (رحمه الله) معقبا ومعلقا: (وَهُوَ رَأْيٌ لَهُ لَا رِوَايَةً مَرْفُوعَةً، وَيُحْمَلُ قَوْلُهُ فِي الْآيَةِ عَلَى أَنَّهَا آخِرُ مَا نَزَلَ فِي الْكَلَالَةِ، فَهِيَ بَعْدَ آيَاتِ الْمَوَارِيثِ، وَفِي السُّورَةِ عَلَى بَعْضِهَا أَوْ مُعْظَمِهَا)(٢) ، وقال -أيضا- في موضع آخر: إن مراده أنها (آخِرُ آيَاتِ الْفَرَائِضِ)(٣).

* **أن هذا الختام فيه بيان حكم ميراث الإخوة الأشقاء أو للأب.**

قال الشيخ الخطيب الشربيني (رحمه الله): (وفي هذه الآية بيان حكم ميراث الأخوة للأب والأم أو للأب)(٤).

* **أن مراد كلمة الكلالة هنا يختلف عن المراد منه في آية المواريث.**

قال شيخنا الدكتور طنطاوي (رحمه الله): (وقد ذكرت كلمة الكلالة مرتين في هذه السورة، أما المرة الأولى: ففي قوله -تعالى- في آيات المواريث: ﴿**وَإِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ**

---

(١) كتاب الفرائض بَابُ: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (٦٧٤٤) ١٥٣/٨.

(٢) تفسير المنار ١٣٢/١٠.

(٣) المرجع السابق ١٣٢/١٠.

(٤) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني ٣٤٨/١.

كانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ فَهُمْ شُرَكاءُ فِي الثُّلُثِ﴾[1]، وقد بينا عند تفسيرنا لهذه الجملة الكريمة أن المراد بالإخوة والأخوات فيها: الإخوة لأم والأخوات لأم.

أما هنا: فالأمر يختلف؛ إذ المراد بالإخوة والأخوات في الآية التي معنا: الإخوة والأخوات الأشقاء أو من الأب فقط)[2].

وقَالَ الإمام الْخَطَّابِيّ (رحمه الله): (أنزل في الكلالة آيتين، إحداهما في الشتاء، وهي الآية التي نزلت في سورة النساء، وفيها إجمال وإبهام لا يكاد يتبين هذا المعنى من ظاهرها، ثم أنزل الآية الأخرى في الصيف وهي في آخر سورة النساء، وفيها من زيادة البيان ما ليس في آية الشتاء، فأحال السائل عليها ليستبين المراد بالكلالة المذكورة فيها، والله أعلم)[3].

* **<u>أن هذه الآية سماها رسول الله (ﷺ) آية الصيف..</u>**

روى الإمام مسلم في صحيحه[4] بسنده أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) خَطَبَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَذَكَرَ نَبِيَّ اللهِ (ﷺ)، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَا أَدَعُ بَعْدِي شَيْئًا أَهَمَّ عِنْدِي مِنَ الْكَلَالَةِ، مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ، حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «يَا عُمَرُ، أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ، وَإِنِّي إِنْ أَعِشْ أَقْضِ فِيهَا بِقَضِيَّةٍ يَقْضِي بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَمَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ».

---

(١) النساء /١٢.

(٢) التفسير الوسيط ٣/٤١٠، ٤١١.

(٣) معالم السنن للإمام الخطابي ٤/٩٣، ٩٤. ٣/١٢٣٦.

(٤) ك الفرائض باب ميراث الكلالة (١٦١٧) ٣/١٢٣٦.

* **أن المسؤول في هذا الختام هو النبي (ﷺ) والمجيب هو الله (ﷻ).**

قال شيخنا الدكتور طنطاوي (رحمه الله): (وقد تولى -سبحانه - الإجابة مع أن المسئول هو النبي (ﷺ)؛ للتنويه بشأن الحكم المسئول عنه، ولتأكيد أن المواريث من الأمور التي تكفل الله ببيانها وتوزيعها وحده، فلا يصح لأحد أن يخالف ما شرعه الحكيم الخبير في شأنها، فهو - سبحانه- أعلم بمصالح عباده، وأرحم بهم من آبائهم ومن أبنائهم، ومن كل مخلوق)(١).

ويقول شيخنا أبو زهرة (رحمه الله): (وتجب الإشارة هنا إلى أمر بياني يقتضي تمام التفسير ذكره هو أن الله -تعالى- يقول: **﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ﴾**(٢) وهنا لم يبين في السؤال موضع الاستفتاء، ولكن الإجابة بينته فاستبان، ويلاحَظ أنهم سألوا النبي (ﷺ)، ولكن الله تولى الإجابة هو، فقال: **﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾** ونجد في مثل هذا المقام يقول الله -تعالى-: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامى قُلْ إِصْلاحٌ لهُمْ خَيْرٌ﴾**(٣).

ولم يسند الأمر إلى ذاته العلية كما أسنده هنا فما السر؟ السر في ذلك هو تأكيد أن شرع الميراث منسوب للذات العلية، وهو الذي يتولى الشرح، وإذا كان النبي (ﷺ) يتولى الشرح عنه في كثير، فهنا قد تولى هو توثيقا للحكم وتأكيدا له وتربية للمهابة، ويلاحظ أن أحكام الميراث كلها أسندها العلي الحكيم العليم الخبير لنفسه، فابتدأ آياتها في أول السورة بقوله -تعالى-: **﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾**(٤)، وختمها بأن الميراث كله وصية الله - تعالى- فقال -تعَالت كلماته-: **﴿ ... وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ***

---

(١) التفسير الوسيط ٣/٤١١.

(٢) النساء/١٧٦.

(٣) البقرة /٢٢٠.

(٤) النساء /١١.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(١))(٢).

* **<u>أن الآية الكريمة قد ذكرت أربع صور للكلالة.</u>**

يقول شيخنا الدكتور طنطاوي (رحمه الله): (وبهذا نرى أن الآية الكريمة قد ذكرت صورا أربعا لميراث الإخوة والأخوات للميت الذي لم يترك ولدا ولا والدا، أي الميت الكلالة.

١- أن يموت الميت وترثه أخت واحدة، ففي هذه الحالة يكون لها نصف تركته بالفرض، والباقي للعصبة إن وجدوا، فإن لم يوجدوا فلها الباقي بالرد.

٢- أن يكون الأمر بالعكس؛ بأن تموت امرأة ويرثها أخ واحد، فيكون له جميع تركتها.

٣- أن يكون الميت أخا أو أختا والوارث أختان فصاعدا، ففي هذه الحالة يكون لهما أو لهن الثلثان.

٤- أن يكون الميت أخا أو أختا، والورثة عدد من الإخوة والأخوات، ففي هذه الحالة تقسم التركة بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين.

هذا، وظاهر الآية يفيد أنه لا فرق بين الإخوة الأشقاء والإخوة لأب في أنهم يشتركون في التركة إذا اجتمعوا، ولكن هذا الظاهر غير مراد، فقد خصصت السنة هذا العموم، فقدمت الأشقاء على الإخوة لأب، فإذا ما اجتمع الصنفان حجب الإخوة الأشقاء الإخوة لأب)(٣).

---

(١) النساء /١٢: ١٤.

(٢) زهرة التفاسير للشيخ محمد أبي زهرة ٢٠٠٢/٤

(٣) التفسير الوسيط ٤١٢/٣.

* **أن في ختام السورة بهذه الآية تذكيرا بأمرين:**

(أولهما: أن الأسرة هي الخلية الأولى التي يتربى فيها النزع الاجتماعي بكل ضروبه، وكل شعبه وأنه لَا يوجد مجتمع صالح إلا بأسر صالحة، وفساد الأسرة فيه فساد المجتمع.

وثانيهما: أن أحكام الأسرة مستمدة من الله -تعالى- من غير توسط أحد كبيرا كان أو صغيرا، وأن مخالفة أحكام الله - تعالى- ضلال ليس بعده ضلال، ولذا ختمت السورة بأن بيان الله تعالى لمنع الضلال)[1].

*** أن في هذا الختام ما يدل على أن الله (ﷻ) هو الذي تولى بيان أحكام الميراث.**

وقد أبان ذلك شيخنا أبو زهرة (رحمه الله) في قوله (ﷻ): ﴿ **يُبَيِّنِ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ حيث يقول: (هذا النص الكريم يبين أن الله (سبحانه وتعالى) هو الذي تولى شرح بيان أحكام الميراث، وحسب الميراث فضلا أن يكون تأكيده وتوثيقه ببيان الله -تعالى-.

وقد ذكر النص الكريم لماذا تولى القرآن الكريم بيانه فقال -سبحانه-: ﴿ **أن تضلوا**﴾ أي: خشية أن تذهبوا إلى طرق ضالة بأمور ثلاثة- إما بإهمال الميراث جملة، بألا تعطوا أحدا من الورثة شيئا، كما حاول أن يفعل الشيوعيون فأضعفوا الأسرة، وأضعفوا النشاط الإنساني، والإقبال الاختياري على العمل، وتركوا ذرية ضعافا لا يجدون ما يقيم أودهم، وإذا كانت الدولة ترعاهم في بعض الأحيان فعلى نقص بين واضح.

وإما بجعل الحرية للمورث يوصي بماله لمن يشاء من غير قيد، وفي ذلك ضلال أي ضلال، إذ يترك ورثته ضياعا، ويعطي المال غيرهم.

---

(١) زهرة التفاسير ١٩٩٦/٤.

وإما بحرمان من يشاء وإعطاء من يشاء، وفي ذلك إثارة للبغضاء والعداوة، وقد قرر العلماء في كل بقاع العالم أن أعدل نظام للميراث هو نظام القرآن الكريم، ولكن وجد من بيننا من يحاربه، بل وجد من يزعمون أنهم مفسرون للقرآن من يدعي نسخه، وصدق رسول الله -تعالى- إذ يقول: "إن الفرائض أول علم ينسى"(١) وقد ذيل الله -تعالى- الآية بقوله: ﴿ **وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ وفي هذا إشارة إلى أن شرعه أحكم شرع؛ لأنه شرع من يعلم كل شيء، من يعلم الماضي والقابل، والعدل على أتم وجوهه، والمصلحة المستقرة الثابتة التي لَا تعبث بها الأهواء، ثم هو عليم بمن يخالفه ويعصيه، ومن يطيعه ويرضى حكمه)(٢).

* **أن في الاكتفاء بنفي الولد وعدم اشتراط نفي الوالد في هذا الختام فوائد عدة.**

يجليها لنا الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) **حيث يقول:** (وَالنُّكْتَةُ فِي الِاكْتِفَاءِ بِنَفْيِ الْوَلَدِ وَعَدَمِ اشْتِرَاطِ نَفْيِ الْوَالِدِ تَظْهَرُ بِوُجُوهٍ:

* أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي مَفْهُومِ الْكَلَالَةِ لُغَةً.

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه ك الفرائض باب الحث على تعليم الفرائض (٢٧١٩) ٩٠٨/٢ بلفظ "يا أبا هُرَيْرَةَ تعلَّموا الفرائضَ وعلِّموها؛ فإنَّهُ نصفُ العلمِ، وَهوَ يُنسَى، وَهوَ أوَّلُ شيءٍ يُنزَعُ من أمَّتي"، وهو حديث ضعيف، قال المحقق: في الزوائد قلت: أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: إنه صحيح الإسناد، وفيما قاله نظر؛ فإن حفص بن عمر المذكور ضعفه ابن معين والبخاري والنسائي وأبو حاتم، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به بحال، وقال ابن عدي: قليل الحديث، وحديثه كما قال البخاري منكر. سنن ابن ماجه ٩٠٨/٢.

(٢) زهرة التفاسير ٢٠٠١/٤، ٢٠٠٢.

* أَنَّ الْأَكْثَرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَمُوتُ عَنْ تَرِكَةٍ، بَعْدَ مَوْتِ وَالِدَيْهِ؛ لِأَنَّ الْمَالَ الَّذِي يَتْرُكُهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ وِرَثَهُ مِنْهُمَا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ اكْتَسَبَهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْكَسْبُ فِي سِنِّ الشَّبَابِ وَالْكُهُولَةِ، وَيَقِلُّ فِي هَذِهِ الْحَالِ بَقَاءُ الْوَالِدَيْنِ، فَلَمْ يُرَاعَ فِي الذِّكْرِ إِيجَازٌ.

* وَهُوَ الْعُمْدَةُ أَنَّ عَدَمَ إِرْثِ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ مَعَ الْوَالِدِ الَّذِي يُدْلُونَ بِهِ قَدْ عُلِمَ مِنْ آيَاتِ الْفَرَائِضِ الَّتِي أُنْزِلَتْ -أَوَّلًا- وَتَقَدَّمَتْ فِي أَوَائِلِ السُّورَةِ، وَمَضَتِ السُّنَّةُ فِي بَيَانِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا عَلَى ذَلِكَ، وَعُلِمَ -أَيْضًا- مِنَ الْقَاعِدَةِ الْقِيَاسِيَّةِ الْمَأْخُوذَةِ مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ، وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَهِيَ كَوْنُ الْأَصْلِ فِي الْإِرْثِ: أَنْ يَكُونَ لِلذَّكَرِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، وَمِنْ قَاعِدَةِ حَجْبِ الْوَالِدِ لِأَوْلَادِهِ، قَالَ -تَعَالَى- فِي الْآيَاتِ الْأُولَى: ﴿ **فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ** ﴾[1] أَيْ: وَالْبَاقِي -وَهُوَ الثُّلُثَانِ- لِأَبِيهِ عَمَلًا بِالْقَاعِدَةِ ﴿ **فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ** ﴾[2] لِأَنَّ أَوْلَادَهَا يَحْجُبُونَهَا حَجْبَ نُقْصَانٍ، فَيَكُونُ ثُلُثُهَا سُدُسًا، وَالسُّدُسُ الْآخَرُ يَكُونُ لَهُمْ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَمَّا الْجُمْهُورُ فَيَقُولُونَ: إِنَّ الْبَاقِيَ كُلَّهُ لِلْأَبِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ بَيَّنَتْ أَنَّ وُجُودَهُمَا يُنْقِصُ فَرْضَهَا، وَلَمْ تَفْرِضْ لَهُمْ شَيْئًا، وَعَلَى كُلِّ قَوْلٍ لَيْسَ لَهُمْ فَرْضٌ مَعَ وُجُودِ الْأَبِ الَّذِي يَحْجُبُهُمْ حَجْبَ حِرْمَانٍ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَصِلُونَ إِلَى أَخِيهِمْ إِلَّا بِهِ، وَمَا يَتْرُكُهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَغَيْرِهِ يَعُودُ إِلَيْهِمْ؛ فَلِهَذِهِ الْوُجُوهِ لَمْ يَكُنْ لِاشْتِرَاطِ عَدَمِ الْأَبِ فَائِدَةٌ، فَتُرِكَ إِيجَازًا لِلْعِلْمِ بِهِ مِنْ لَفْظِ الْكَلَالَةِ وَمِنَ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ وَالْقَوَاعِدِ الثَّابِتَةِ، وَكَذَا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ (ﷺ) الْمَبْنِيِّ عَلَى مَا ذُكِرَ، وَالْمُبَيِّنُ لَهُ، وَهُوَ مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ[3] وَغَيْرُهُمَا[1] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ

(١) النساء /١١.

(٢) النساء /١١.

(٣) البخاري ك الفرائض باب ميراث الولد من أبيه وأمه (٦٧٣٢) ٨/١٥٠، ومسلم ك الفرائض باب ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر (١٦١٥) ٣/١٢٣٣.

فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ"، ولَيْسَ الاسْتِغْنَاءُ عَنْ نَفْيِ الْوَالِدِ هُنَا مَعَ إِرَادَتِهِ إِلَّا مِثْلَ الاسْتِغْنَاءِ عَنِ اشْتِرَاطِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْفَرْضُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينٍ، كُلٌّ مِنْهُمَا عُلِمَ مِمَّا قَبْلَهُ، فَاسْتُغْنِيَ عَنْ إِعَادَةِ ذِكْرِهِ، بَلْ الاسْتِغْنَاءُ عَنْ ذِكْرِ نَفْيِ الْوَالِدِ أَقْوَى لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ مِنَ اللَّفْظِ، وَكَوْنِ الْغَالِبِ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ، وَكَوْنِهِ إِنْ وُجِدَ يَكُونُ حَجْبُهُ لِأَوْلَادِهِ مَعْلُومًا قَطْعِيًّا؛ لِأَنَّهُ مَنْصُوصٌ وَمَقِيسٌ)[٢].

* **أن هذا الختام الجليل يتضمن عدة مباحث لغوية وتاريخية.**

ذكرها الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) **في قوله:** (وَمِنْ مَبَاحِثِ اللَّفْظِ وَالْأُسْلُوبِ فِي الْآيَةِ: أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَعْلُومَ مِنَ السِّيَاقِ لَهُ حُكْمُ الْمَذْكُورِ فِي اللَّفْظِ حَتَّى فِي إِعَادَةِ الضَّمِيرِ عَلَيْهِ، فَلَا يَتَعَيَّنُ تَقْدِيرُ لَفْظِ الْمَرْءِ فِي بَيَانِ مَرْجِعِ ضَمِيرِ ﴿**وَهُوَ يَرِثُهَا**﴾ بَلْ يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الْمَعْنَى: ﴿**وَهُوَ**﴾ أَيْ: أَخُوهَا يَرِثُهَا إِلَخْ. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿**فَإِنْ كَانَتَا..... وَإِنْ كَانُوا**﴾.

وَمِنْ مَبَاحِثِ تَارِيخِ الْقُرْآنِ وَأَسْبَابِ نُزُولِهِ: مَا رُوِيَ مِنْ كَوْنِ هَذِهِ الْآيَةِ آخِرَ آيَةٍ نَزَلَتْ، رَوَى الشَّيْخَانِ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ كَامِلَةً ﴿**بَرَاءَةٌ**﴾ أَيِ: التَّوْبَةُ، وَآخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ خَاتِمَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ**﴾ أَيْ: مِنْ آيَاتِ الْفَرَائِضِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ بَعْضُهُمْ)[٣].

---

(١) أحمد في مسنده (٢٩٩٣) ١٣٧/٥، وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين، والدارمي في سننه ك الفرائض باب العصبة (٣٠٣٠) ١٩٥١/٤وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) تفسير المنار ٨٩/٦، ٩٠ بتصرف يسير.

(٣) تفسير المنار ٩٢/٦ بتصرف يسير، والحديث سبق تخريجه من صحيح البخاري ص ١٣.

المبحث الثاني
لآلئ ودرر ختام سورة المائدة[1]

والختام هو قوله -تعالى-: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

ومن أسرار الختام بهذه الآية الجليلة نقتطف -بعون الله تعالى- ما يلي:

* **<u>أن لهذا الختام تناسبا جليا ومفتتح السورة الكريمة.</u>**

وبيان ذلك من وجهين:

<u>أولهما</u>: ما ذكره الإمام الفخر (رحمه الله) بقوله: (إن مفتتح السورة كان بذكر العهد المنعقد بين الربوبية والعبودية فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ**﴾[2] وكمال حال المؤمن في أن يشرع في العبودية وينتهي إلى الفناء المحض عن نفسه بالكلية، فالأول هو الشريعة وهو البداية، والآخر هو الحقيقة وهو النهاية، فمفتتح السورة من الشريعة، ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته وقدرته وعلوه، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة، فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح وهذا المختتم)[3].

<u>وثانيهما</u>: ما جسده العلامة البقاعي (رحمه الله) حيث قال: (ولما كان -سبحانه- قد أمرهم أول السورة بالوفاء شكراً على ما أحل لهم في دنياهم، ثم أخبر أنه زاد الشاكرين منهم ورقاهم إلى أن أباحهم أجلّ النفائس في أخراهم، ووصف -سبحانه- هذا الذي أباحه لهم إلى أن بلغ في وصفه ما لا مزيد عليه، أخذ يغبطهم به فقال: ﴿**ذَلِكَ**﴾ أي: الأمر العالي لا غيره: ﴿**الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾.

---

(١) آية /١٢٠.

(٢) المائدة /١.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٠٥/١١، والبحر المحيط ٦٩/٥.

ولما كان هذا الذي أباحه لهم وأباحهم إياه لا يكون إلا بأسباب لا تسعها العقول ولا تكتنه بفروع ولا أصول علَّلَ إعطاءه إياه وسهولته لديه بقوله مشيرا إلى أن كل ما ادعيت فيه الإلهية مما تقدم في هذه السورة وغيرها بعيد عن ذلك؛ لأنه ملكه وفي ملكه وتحت قهره، ﴿**لِلَّه**﴾ أي: الملك الذي لا تكتنه عظمته ولا تضعف قدرته لا لغيره ﴿**مُلْكُ السَّمَاوَاتِ**﴾ بدأ بها لأنها أشرف وأكبر، وآياتها أدل وأكثر ﴿**وَالْأَرْضِ**﴾ على اتساعهما وعظمهما وتباعد ما بينهما ﴿**وَمَا فِيهِنَّ**﴾ أي: من جوهر وعرض.

ولما كان ذلك أنهى ما نعلمه عمم بقوله: ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**﴾ أي: من ذلك وغيره من كل ما يريد ﴿**قَدِيرٌ**﴾ فلذلك هو يحكم ما يريد؛ لأنه هو الإله وحده، وهو قادر على إسعاد من شاء وإشقاء من شاء، وإحلال ما شاء وتحريم ما شاء، والحكم بما يريد ونفع الصادقين الموفين بالعقود الثابتين على العهود؛ لأن له ملك هذه العوالم وما فيها مما ادعى فيه الإلهية من عيسى وغيره، والكل بالنسبة إليه أموات، بل موات جديرون بأن يعبر عنهم بـ﴿**مَا**﴾ لا بـ(من)، فمن يستحق معه شيئا ومن يملك معه ضراً أو نفعا! وقد انطبق آخر السورة على أولها كما ترى أي انطباق، واتسقت جميع آياتها أخذا بعضها بحجز بعض أيّ اتساق؛ فسبحان من أنزل هذا القرآن على أعظم البيان! مخجلاً لمن أباه من الأمم، معجزاً لأصحاب السيف والقلم، والله (ﷻ) أعلم)[1].

* **<u>أن في هذا الختام إيفاء بإثبات المطالب التي تضمنتها السورة الجليلة.</u>**

وفي بيان ذلك يقول العلامة الفخر (رحمه الله): (إن السورة اشتملت على أنواع كثيرة من العلوم، فمنها: بيان الشرائع والأحكام والتكاليف، ومنها: المناظرة مع اليهود في إنكارهم شريعة محمد -عليه الصلاة والسلام-، ومنها: المناظرة

(١) نظم الدرر ١/٣.

مع النصارى في قولهم بالتثليث، فختم السورة بهذه النكتة الوافية بإثبات كل هذه المطالب فإنه قال: ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ** ﴾)[1].

* **أن هذا الختام يرتبط بمفتتح السورة السابقة -وهي سورة النساء-.**

وذلك من وجهين:

أولهما: أن هذا الختام ذيل بصفة القدرة، وافتتحت النساء بذلك.

وثانيهما: أن هذا الختام ذيل بالمنتهى من البعث والجزاء، وافتتحت النساء ببدء الخلق، فكأنهما سورة واحدة، اشتملت على الأحكام من المبتدأ إلى المنتهى.

* **أن هذا الختام يتناسب وما قبله تناسبا قويا، ومناسب لأن يكون ختاما لمجموع ما في السورة الجليلة -أيضا-.**

أما عن تناسبه لما قبله فيجليه لنا شيخنا الدكتور طنطاوي (رحمه الله) **بقوله:** (وإن هذه الآية الكريمة لمتسقة كل الاتساق مع الآية التي قبلها؛ لأنه -سبحانه- بعد أن بين جزاء الصادقين في دنياهم عقبه ببيان سعة ملكه، وشمول قدرته الدالين على أن هذا الجزاء لا يقدر عليه أحد سواه -سبحانه-)[2].

وأما عن مناسبته للأمرين معا فيقول صاحب المنار (رحمه الله): (ثُمَّ خَتَمَ (جل جلاله) هَذِهِ السُّورَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِمَا قَبْلَهُ مُبَاشَرَةً، وَمُنَاسِبٌ لِأَنْ يَكُونَ خِتَامًا لِمَجْمُوعِ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ، أَمَّا الْأَوَّلُ: فَلَمَّا بَيَّنَ مَا لِأَهْلِ الصِّدْقِ عِنْدَهُ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَقِّ فِي مَقْعَدِ الصِّدْقِ بَيَّنَ عَقِبَهُ سَعَةَ مُلْكِهِ وَعُمُومَ قُدْرَتِهِ الدَّالَّيْنِ عَلَى كَوْنِ ذَلِكَ الْجَزَاءِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَأَمَّا الثَّانِي: فَلَمَّا كَانَ أَكْثَرُ آيَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي مُحَاجَّةِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَامَّةً وَبَسْطِ الْحُجَجِ عَلَى بُطْلَانِ أَقْوَالِ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ خَاصَّةً

(١) مفاتيح الغيب ٢٠٥/١١ بتصرف.

(٢) التفسير الوسيط ٣٥٤/٤.

وَسَائِرُهَا فِي بَيَانِ أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَعَ النَّصِّ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ بِالْقُرْآنِ وَعَلَى وَحْدَةِ الدِّينِ الْإِلَهِيِّ وَاخْتِلَافِ الشَّرَائِعِ وَالْمَنَاهِجِ لِلْأُمَمِ وَلَمَّا كَانَ كُلٌّ مِنْ ذَيْنِكَ الْقِسْمَيْنِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ قَدْ تَكَرَّرَ فِيهِ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ وَقَفَّى عَلَيْهِمَا بِذِكْرِ جَمْعِ اللهِ -تَعَالَى- لِلرُّسُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسُؤَالِهِمْ عَنِ التَّبْلِيغِ وَجَوَابِ أَحَدِهِمُ الدَّالِّ عَلَى شَهَادَتِهِمْ عَلَى أَقْوَامِهِمْ بِالْحَقِّ وَتَفْوِيضِ أَمْرِهِمْ إِلَى اللهِ (ﷻ) لَمَّا كَانَ مَا ذُكِرَ كَمَا ذَكَرَ نَاسَبَ أَنْ نَخْتِمَ هَذِهِ السُّورَةَ بِبَيَانِ كَوْنِ الْمُلْكِ كُلِّهِ وَالْقُدْرَةِ كُلِّهَا لِلَّهِ -وَحْدَهُ- وَأَنَّ مُلْكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ لِلَّهِ -وَحْدَهُ- كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ تَقْدِيمُ الظَّرْفِ وَهُوَ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ)[1].

* **أن في التعبير بقوله: ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ دلالتين رائعتين**

أما الأولى: ففيها (تعريض بأن المسيح وأمه اللذين عبدا من دون الله داخلان تحت قبضته -تعالى- إذ الملك والقدرة له وحده، فلا ينبغي لأحد أن يتكل على شفاعتهما: **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾**[2] وغاية ما أعطاهم الكرامة لديه والمنزلة الرفيعة من بين عباده: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ﴾**[3])[4].

وأما الثانية: فيذكرها صاحب اللباب (رحمه الله) في قوله: (واعلم: أَنَّهُ (ﷻ) قال: **﴿ومَا فِيهِنَّ﴾** ولم يَقُلْ: مَنْ فيهنَّ، فَغَلَّبَ غَيْرَ العُقَلاَءِ على العُقَلاَءِ لفائدَةٍ وهي: التنْبِيهُ على أنَّ كُلَّ المَخْلُوقَاتِ مُسَخَّرُون في قَبْضَةِ قَهْرِهِ وقُدْرَتِهِ وقَضَائِهِ وقدرِه،

(١) تفسير المنار ٢٢٩/٧، والتفسير الوسيط ٣٥٤/٤.
(٢) البقرة /٢٥٥.
(٣) الزخرف /٢٦.
(٤) تفسير المراغي للشيخ المراغي ٦٦/٧.

وهُمْ في ذلك التَّسْخِيرِ كالجَمَادَاتِ الَّتِي لا قُدْرَةَ لَهَا، وكالْبَهَائِمِ الَّتِي لا عَقْلَ لَهَا، فعلْمُ الكُلِّ بالنِّسْبَةِ إلى عِلْمِه كَلاَ عِلْم، وقُدْرَةُ الكُلِّ بالنِّسْبَةِ إلى قُدْرَتِهِ كَلاَ قُدْرَة)[1].

* **أن هذا الختام يدل على شمول ملكه – تعالى– لكل شيء.**

قال شيخنا الدكتور طنطاوي (رحمه الله): (ثم ختم –سبحانه– السورة الكريمة بهذه الآية الدالة على شمول ملكه لكل شيء في هذا الكون فقال: ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما فِيهِنَّ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ أي: لله –تعالى– وحده دون أحد سواه الملك الكامل للسموات وللأرض ولما فيهن من كل كائن، وهو –سبحانه– على كل شيء قدير لا يعجزه أمر أراده، ومن زعم أن له شريكا –سواء أكان هذا الشريك عيسى أم أمه أم غيرهما– فقد أعظم الفرية وتسربل بالجهل، وكان مستحقا لخزي الدنيا، وعذاب الآخرة)[2].

* **أن هذا الختام يتضمن إشارات بيانية عديدة.**

وهي التي ذكرها شيخنا أبو زهرة (رحمه الله) حيث يقول: (وفي الكلام إشارات بيانية، نذكرها:

الأولى: إثبات أن الله –وحده– هو الجدير بالألوهية، والمستحق للعبادة؛ لأنه ذو السلطان الكامل المالك لكل شيء.

الثانية: أن تقديم لفظ الجلالة يفيد وحدة سلطانه وملكه وقدرته، أي: أنه –وحده– المالك لكل شيء.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٦٢٩/٧، والتفسير الوسيط ٣٥٤/٤، وتفسير الشعراوي (خواطري حول القرآن الكريم) للشيخ الشعراوي ٣٤٨٤/٦.

(٢) التفسير الوسيط ٣٥٤/٤.

الثالثة: ذكر السماوات والأرض والتصريح بما فيهن؛ للإشارة إلى أن كل شيء فيهن مخلوق له -سبحانه-، وليس فوقه أحد، فلا يقال: إن أحدا له سلطان بجوار سلطانه، وإن المعجزات التي تجري على أيدي بعض النبيين من خلقه هو الذي خلقها على يديه، وليس النبي خالقها.

الرابعة: إثبات أنه قادر على كل شيء، لَا يتقيد بالأسباب والمسببات؛ لأنه على كل شيء قدير، وهو خالق الأسباب.

الخامسة- تقديم الجار والمجرور يفيد كمال قدرة الله -تعالى- على الأشياء؛ إنه حميد مجيد، سميع بصير عزيز حكيم)[1].

* **أن هذا الختام جاء تحقيقا للحق، وتنبيها على كذب النصارى.**

قال الشيخ صديق حسن خان (رحمه الله) في قوله (جل جلاله): ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما فِيهِنَّ**﴾: (جاء -سبحانه- بهذه الخاتمة تحقيقاً للحق وتنبيهاً على كذب النصارى، ودفعاً لما سبق من إثبات من أثبت الإلهية لعيسى (عليه السلام) وأمه، وأخبر بأن ملك السموات والأرض له دون عيسى وأمه ودون سائر مخلوقاته.

وقيل: المعنى أن له ملك السموات والأرض وما فيها من العقلاء وغيرهم، يتصرف فيها كيف يشاء إيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة أمراً ونهياً من غير أن يكون لشيء من الأشياء مدخل في ذلك، وهو الذي يعطي الجنات للمطيعين -جعلنا الله تعالى منهم آمين-: ﴿**وهو على كل شيء**﴾ من المنع والإعطاء والإيجاد والإفناء﴿ **قدير**﴾ أي: قادر، نسأله أن يوفقنا لمرضاته، ويجعلنا من الفائزين بجناته)[2].

---

(١) زهرة التفاسير ٥/٢٤١٤، ٢٤١٥.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن للأمير صديق حسن خان ٤/٩٤، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي ١/٦٠٦.

وقال الإمام البيضاوي (رحمه الله) في قوله (عز وجل): ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما فِيهِنَّ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: (تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وأمه)(١).

* **أن لهذا الختام علاقة وطيدة بمستهل السورة التي تليه -وهي سورة الأنعام-**

وذلك من وجهين:

أولهما: ما ذكره الإمام السيوطي (رحمه الله) بقوله: (مناسبة هذه السورة لآخر المائدة أنها افتتحت بالحمد، وتلك ختمت بفصل القضاء، وهما متلازمتان كما قال: ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(٢))(٣).

وثانيهما: (أنه لما ذكر في آخر المائدة: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ**﴾ على سبيل الإجمال افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله؛ فبدأ بذكر أنه خلق السموات والأرض، وضم إليه أنه جعل الظلمات والنور وهو بعض ما تضمنه قوله: ﴿**وَمَا فِيهِنَّ**﴾ في آخر المائدة، وضمن قوله: ﴿**الْحَمْدُ لله**﴾ أول الأنعام أن له ملك جميع المحامد وهو من بسط: ﴿**له مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ**﴾ في آخر المائدة، ثم ذكر أنه خلق النوع الإنساني وقضى له أجلا مسمى وجعل له أجلا آخر للبعث، وأنه منشئ القرون قرنا بعد قرن، ثم قال: ﴿**قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ فأثبت له ملك جميع المنظورات، ثم قال: ﴿**وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾(٤) فأثبت له ملك جميع المظروفات لظرفي

---

(١) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام البيضاوي ١٥٢/٢، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٣٨١/٦، والتحرير والتنوير ١١٩/٧.

(٢) الزمر /٧٥.

(٣) أسرار ترتيب القرآن للإمام السيوطي ٧/١ بتصرف.

(٤) الأنعام /١٣.

الزمان، ثم ذكر أنه خلق سائر الحيوان من الدواب والطير، ثم خلق النوم واليقظة والموت والحياة، ثم أكثر في أثناء السورة من ذكر الخلق والإنشاء لما فيهن من النيرين والنجوم وفلق الإصباح وخلق الحب والنوى وإنزال الماء وإخراج النبات والثمار بأنواعها، وإنشاء جنات معروشات وغير معروشات والأنعام، ومنها حمولة وفرش، وكل ذلك تفصيل لملكه ما فيهن، وهذه مناسبة جليلة)[1].

* **أن في هذا الختام معنى التفويض والتسليم لله -تعالى-، وتعليق الآمال به -سبحانه- وحده.**

وهذا ما استنبطه الإمام الطاهر (رحمه الله) بقوله: (وفيها معنى التفويض لله -تعالى- في كل ما ينزل، فآذنت بانتهاء نزول القرآن على القول بأن سورة المائدة آخر ما نزل[2]، وباقتراب وفاة رسول الله (ﷺ) لما في الآية من معنى التسليم لله، وأنه الفعال لما يريد)[3].

وقال العلامة ابن الجوزي (رحمه الله): (وفي قوله -تعالى-: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ**﴾ تنبيهٌ على عبودية عيسى، وتحريضٌ على تعليق الآمال بالله -وحده-)[4].

---

(١) أسرار ترتيب القرآن ٧/١.

(٢) وهذا -أيضا- قول مرجوح؛ لأن الآخرية فيه محمولة على أنها آخر ما نزل من الأحكام.

(٣) التحرير والتنوير ١١٩/٧.

(٤) زاد المسير في علم التفسير ٦٠٦/١.

* **أن في هذا الختام دلالة على إعطاء الله الجنات للطائعين.**

وهذا ما ذكره الإمام القرطبي (رحمه الله) **بقوله:** (ويجوز أن يكون المعنى أن الذي له ملك السماوات والأرض يعطي الجنات المتقدم ذكرها[1] للمطيعين من عباده –جعلنا الله منهم بمنه وكرمه–)[2] اللهم آمين.

* **أن في هذا الختام إثباتا لكبرياء الله (عز وجل) وقهره وعظمته.**

قال العلامة الألوسي (رحمه الله): (ولا يخفى ما في ذكر كبرياء الله –تعالى– وعزته وقهره وعلوه في آخر هذه السورة من حسن الاختتام)[3].

(١) في قوله –تعالى–: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ آية/١١٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦/٣٨١.

(٣) روح المعاني ٧/١٠٥.

المبحث الثالث

لآلئ ودرر ختام سورة الأنعام[1]

والختام هو قوله -تعالى-: **﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**.

وفى الختام بهاتين الآيتين حكم عديدة، وأسرار شتى، نذكر منها -بإذن الله تعالى- ما يلي:

* **<u>أن هذا الختام يتناسق ويتناسب - تماما- مع افتتاح السورة الكريمة.</u>**

وهذا ما نوه إليه العلامة الألوسي (رحمه الله) **بقوله:** (وما ألطف افتتاح هذه السورة بالحمد وختمها بالمغفرة والرحمة -نسأل الله تعالى أن يجعل لنا الحظ الأوفر منهما؛ إنه ولي الإنعام وله الحمد في كل ابتداء وختام-)[2].

* **<u>أن بين هذا الختام وأول السورة التي تليه -وهي سورة الأعراف- ارتباطا وثيقا.</u>**

وذلك من وجوه ثلاثة:

<u>أولها</u>: ما ذكره الإمام البقاعي(رحمه الله) **حيث قال:** (لما ذكر -سبحانه- في آخر التي قبلها أنه أنزل إليهم كتابا مباركا، وأمر باتباعه وعلل إنزاله وذكر ما استتبعه ذلك مما لا بد منه في منهاج البلاغة وميدان البراعة، وكان من جملته

---

(١) آيتا /١٦٤، ١٦٥.

(٢) روح المعاني ٨/١٠٦.

أن أمر المدعوين به ليس إلا إليه، إن شاء هداهم وإن شاء أضلهم واستمر فيها لا بد منه في تتميم ذلك إلى أن ختم السورة بما انعطف على ما افتتحت به، فاشتد اعتناقه له حتى صارا كشيء واحد أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب وما تقدمه، فقال مخبراً عن مبتدأ تقديره: هو ﴿كِتَابٌ﴾(١)"(٢).

وثانيها: قول الإمام السيوطي (رحمه الله): (وأما وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الأنعام: فهو أنه قد تقدم هناك ﴿**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ**﴾(٣) وقوله: ﴿**وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ**﴾(٤) فافتتح هذه السورة أيضا باتباع الكتاب في قوله: ﴿**كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ**﴾(٥) إلى ﴿**اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ**﴾(٦)")(٧).

و**ثالثها:** قوله (رحمه الله) -أيضا-: (لما تقدم في الأنعام ﴿**ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾(٨) و ﴿**ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ قال في مفتتح هذه السورة: ﴿**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ**﴾(٩) وذلك شرح التنبئة المذكورة، و-أيضا- فلما قال في الأنعام:

---

(١) الأعراف /٢.
(٢) نظم الدرر ١٧٦/٣.
(٣) الأنعام /١٥٣.
(٤) الأنعام /١٥٥.
(٥) الأعراف /٢.
(٦) الأعراف /٣.
(٧) أسرار ترتيب القرآن ٩/١.
(٨) الأنعام /١٥٩.
(٩) الأعراف /٦، ٧.

﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْـرُ أَمْثَالِهَا**﴾[1] الآية وذلك لا يظهر إلا في الميزان افتتح هذه السورة بذكر الوزن فقال: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ**﴾[2] ثم ذكر من ثقلت موازينه وهو من زادت حسناته على سيئاته، ثم من خفت موازينه وهو من زادت سيئاته على حسناته، ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الأعراف وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم)[3].

* **أن هذا الختام هو عين ما ابتدئت به السورة الكريمة.**

وليس في هذا تكرار؛ لأن الألفاظ مختلفة، والسياق متباين، وبين هذا الإمام البقاعي (رحمه الله) **فقال:** (... ثم رغب بعد هذا الترهيب في العفو بأنه على غناه عن الكل أسبل ذيل غفرانه ورحمته بإمهاله العصاة وقبوله اليسير من الطاعات بأنه خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور منافع لهم ثم هم به يعدلون! ولولا غفرانه ورحمته لأسرع عقابه لمن عدل به غيره فأسقط عليهم السماوات وخسف بهم الأرضين التي أنعم عليهم بالخلافة فيها، وأذهب عنهم النور وأدام الظلام، فقد ختم السورة بما به ابتدأها، فإن قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ**﴾ هو المراد بقوله: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ**﴾[4]، وقوله: ﴿**أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ هو معنى قوله: ﴿**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ**﴾[5])[6].

---

(١) الأنعام /١٦٠.

(٢) الأعراف /٨.

(٣) أسرار ترتيب القرآن ٩/١.

(٤) الأنعام /٢.

(٥) الأنعام /١.

(٦) نظم الدرر ١٧٥/٣.

* **أن المراد من هذا الختام العمل بشرع الله -تعالى- والامتثال لأحكامه وهداه.**

قال العلامة الطاهر (رحمه الله): (وجملة: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ تذييل للكلام، وإيذان بأن المقصود منه العمل والامتثال، فلذلك جمع هنا بين صفة ﴿**سَرِيعُ الْعِقَابِ**﴾ وصفة ﴿ **غَفُورٌ** ﴾ ليناسب جميع ما حوته هذه السورة)[1].

* **أن بعض ألفاظ الآية الأولى له سبب نزول.**

قال العلامة ابن الجوزي (رحمه الله) في قوله (جل جلاله): ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا** ﴾: (سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي (ﷺ): ارجع عن هذا الأمر، ونحن لك الكُفلاء بما أصابك من تبعة، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل)[2].

* **أن في الآية الثانية من هذا الختام فوائد جمة، وأسرارا شتى.**

منها: سر رفع بعضنا فوق بعض درجات، وهو قوله -تعالى-: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾، وذلك ليظهر من يستحق العقاب فيعاقب، ومن يستحق المغفرة والرحمة فيحظى بهما -نسأل الله أن نكون من أهلهما، اللهم آمين-.

ومنها: ما ذكره العلامة أبو حيان (رحمه الله) إذ يقول: (لما كان الابتلاء يظهر به المسيء والمحسن والطائع والعاصي ذكر هذين الوصفين[3] وختم بهما، ولما كان الغالب على فواصل الآي قبلها هو التهديد بدأ بقوله: ﴿ **سَرِيعُ الْعِقَابِ**﴾ يعني لمن كفر ما أعطاه الله -تعالى- وسرعة عقابه إن كان في الدنيا فالسّرعة ظاهرة، وإن كان في الآخرة فوصف بالسّرعة لتحققه إذ كل ما هو آت آت، ولما كانت جهة الرحمة أرجى أكد ذلك بدخول اللام في الخبر، وبكون

(١) التحرير والتنوير ٢١١/٨.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٩٨/٢.

(٣) وهما قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الأنعام /١٦٥.

الوصفين بنيا بناءً مبالغة، ولم يأتِ في جهة العقاب بوصفه بذلك فلم يأتِ ﴿**إِنَّ رَبَّكَ**﴾ معاقب و ﴿ **سَرِيعُ الْعِقَابِ** ﴾ من باب الصفة المشبهة)[1].

ومنها: قوله (رحمه الله) -أيضا-: (ولما كان الغالب على فواصل الآي هو التهديد بدأ بقوله: ﴿ **سَرِيعُ الْعِقَابِ** ﴾ يعني لمن كفر ما أعطاه الله -تعالى- وسرعة عقابه إن كان في الدنيا فالسّرعة ظاهرة، وإن كان في الآخرة فوصف بالسّرعة لتحققه إذ كل ما هو آت آت، ولما كانت جهة الرحمة أرجى أكد ذلك بدخول اللام في الخبر، وبكون الوصفين بنيا بناءً مبالغة، ولم يأتِ في جهة العقاب بوصفه بذلك فلم يأتِ ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ** ﴾ معاقب و ﴿ **سَرِيعُ الْعِقَابِ** ﴾ من باب الصفة المشبهة)[2].

ومنها: قول الحافظ ابن كثير (رحمه الله): (وَقَوْلُهُ: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (تَرْهِيبٌ وَتَرْغِيبٌ؛ وذلك أَنَّ حِسَابَهُ وَعِقَابَهُ سَرِيعٌ مِمَّنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ رُسُلَهُ ﴿**وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ لِمَنْ وَالَاهُ وَاتَّبَعَ رُسُلَهُ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مَنْ خَيْرٍ وَطَلَبٍ)[3].

* <u>**أن الآية الأولى من الختام فيها أمر للنبي (ﷺ) بإخلاص التوكل على ربه (عز وجل).**</u>

قال الحافظ ابن كثير (رحمه الله): (هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا الْأَمْرُ بِإِخْلَاصِ التَّوَكُّلِ، كَمَا تَضَمَّنَتِ الْآيَةُ الَّتِي قَبْلَهَا إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)[4].

---

(١) البحر المحيط ٣٠٥/٥.

(٢) البحر المحيط ٣٠٥/٥، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢٨٣/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٣٨٥/٣ بتصرف يسير.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٨٣/٣، ٣٨٤.

*** أن الآية الأولى من هذا الختام تجري مجرى الدليل على صحة توحيده (ﷺ).**

قال ابن عادل (رحمه الله): (لما أمَرَهُ (ﷺ) بالتَّوْحِيد المَحْضِ أمَره أن يَذْكر ما يَجْرِي مجرى الدَّليل على صِحَّة هذا التَّوحِيد، وتقريره من وجهين:

الأول: أنَّ أصناف المُشْرِكين أربعة؛ لأنَّ عبدة الأصنام أشْرَكُوا باللَّه، وعبدة الكواكِب أشْرَكُوا باللَّه، والقَائلون ببزدان وأهرمن أشركوا، والقَائلُون بأنَّ المسيح ابنُ اللَّه والملائكة بنات الله أشْرَكُوا، فهؤلاء هم فِرَقُ المُشْرِكين، وكلُّهم يَعْتَرفُون بأن اللَّه (ﷻ) هو الخَالِق للكُلِّ؛ لأن عبدة الأصنام معترِفُون بأن اللَّه -تعالى- خالقُ السَّمواتِ والأرْضِ وكلِّ ما في العالم من الموْجُودات، وهُو الخالقُ للأصْنامِ والأكوان بأسْرِها.

وأما القَائلُون ببزدان وأهرمن فهُم -أيضاً- معترِفُون بأنَّ الشَّيْطَان مُحْدَث، وأنَّ مُحْدِثهُ هو اللَّه (ﷻ).

وأمَّا القَائلُون بالمسيح والملائكة فهُم -أيضاً- معتَرِفُون بأنَّ اللَّه (ﷻ) خَلَق الكُلَّ؛ فثبت أنَّ طوائف المُشْرِكين أطْبَقُوا على أنَّ الله (ﷻ) خلق هؤلاء الشُّرَكَاء.

وإذا عُرِف هذا، فاللَّه (ﷻ) قال لرسوله (ﷺ): قل يا مُحَمَّد: ﴿**أغير اللَّه أبْغِي ربّاً**﴾ مع أنَّ هؤلاء الذين اتّخَذُوا رَبَّاً غير اللَّه أقَرُّوا بأن اللَّه (ﷻ) خالق تلك الأشْيَاء.

وهل يَدْخُل في العَقْل جعل المرْبُوب شَرِيكاً للرَّبِّ، وجعل العَبْد شَرِيكاً للمَوْلَى، وجَعْل المَخْلُوق شَرِيكاً للخَالِق؟ ولمَّا كان الأمْر كذلك ثبت أنَّ اتخاذهم رَباً غيْر اللَّه قول فاسدٌ ودينٌ بَاطِلٌ.

الثاني: أن الموجود إمَّا واجبٌ لِذَاته وإمَّا ممكن لِذَاتــه، وثبــت أن واجِــبَ الوُجُود واحدٌ، وثبت أنَّ ما سِوَاه مُمْكِنٌ لذاته، وثَبَت أن المُمْكِن لذاته لا يُوجد إلاَّ بإيجَادِ الواجِبِ لذَاتِهِ، وإن كان الأمْر كذلك كان الله -تعالى- ربّاً بِكُلِّ شَيْء.

وإذا ثبت هذا، فَنقُول: صَرِيحُ العَقْل يَشْهَدُ بأنَّه لا يَجُوز جَعْلُ المرْبُوب شَرِيكاً للرَّبِّ، وجَعْل المَخْلُوق شريكاً للخَالِق، وهذا هو المُرَاد مــن قولــه -تعــالى-: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾، قال ابن عبَّــاس (ﷺ) معنــى ﴿ **ربًّا** ﴾: أي سيِّداً ﴿**وهُو رب كُلِّ شيء**﴾[1].

* **<u>أن الآية الأخيرة من هذا الختام فيها عدة وجوه.</u>**

قال ابن عادل (رَحِمَهُ اللهُ) في قوله -تعالى-: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَــابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾: (فيه وُجُوه:

أحدها: أنَّ محمداً (ﷺ) خاتم النَّبِيِّين، فَخَلَفَتْ أمَّتُه سَائِرَ الأمَم، والخلائــف: جَمْع خليفة، كالوَصَائف جَمْع وَصِيفَة، وكُلُّ من جَاءَ تبعاً له، فهو خَلِيفــةَ، أنــه يَخْلُفُه، أي: أهْلَك القُرُون المَاضِيَة، وجَعَلَكُم يا مُحمَّد (ﷺ) خُلَفَاء مِنْهُم، تَخْلُفوهم في الأرْضِ وتَعْمرُونها بعدهم.

وثانيها: جعلهُم يَخلُف بعضُهم بعضاً.

وثالثها: أنَّهُم خُلَفَاء اللَّه في أرْضِه، يَمْلِكُونها ويتَصَرَّفُون فيها)[2].

* **<u>أن في تأكيد المغفرة والرحمة دون العقاب سرا بديعا.</u>**

يذكره الإمام ابن عادل (رَحِمَهُ اللهُ) في قوله: (وأكد قوله: ﴿ **لَغَفُورٌ** ﴾ -بــاللام- دلالَة على سعَة رَحْمَتِه، ولمْ يؤكد سُرْعة العِقَاب بذلك هُنَا -وإن كان قد أكَّد ذلك

(١) اللباب في علوم الكتاب ٥٣٨/٨، ٥٣٩.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٥٤٠/٨.

في سُورَة الأعْراف- لأنَّ هناك المقام مقام تَخْويفٍ وتهديد، وبعد ذِكْـر قـصَّة المُعْتَدين في السَّبْت وغيره، فَنَاسب تَأكِيد العِقَاب هُنَاك، وأتى بِصِيغَتَي الغُفْرَان والرَّحْمة، لا بصيغَةٍ واحِدَة؛ دلالة على حِلْمِه، وسعَة مغفرته ورَحْمَتِه)[1].

* **أن في الآية الأولى من هذا الختام ردين على الكفار.**

قال العلامة أبو السعود (رحمه الله) في قوله: ﴿ **وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا** ﴾: (كانوا يقولون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا ولنتحمل خطاياكم، إما بمعنى لِيُكْتَبْ علينا ما عمِلتم من الخطايا لا عليكم، وإما بمعنى لنحمِلْ يوم القيامة ما كُتب عليكم من الخطايا، فهذا ردٌّ له بالمعنى الأول، أي: لا تكونُ جنايةُ نفسٍ مـن النفـوس إلا عليها، ومُحالٌ أن يكون صدورُها عن شخص وقرارُها على شخص آخرَ حتى يتأتى ما ذكرتم، وقولُه -تعالى-: ﴿ **وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى** ﴾ ردٌّ له بالمعنى الثاني، أي: لا تحمِلُ يومئذ نفسٌ حاملةٌ حِمْلَ نفسٍ أخرى حتى يصِحّ قولُكم)[2].

* **أن الآية الأولى من هذا الختام أصل في أنه لا يؤاخذ أحد بفعل أحد.**

قال العلامة القاسـمي (رحمه الله): (هذه الآية أصل في أنه لا يؤاخذ أحد بفعـل أحد ... وقال: الكيا الهراسي: ويحتج بقوله: ﴿ **وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا** ﴾ في عدم نفوذ تصـرف زيد على عمرو إلا ما قام عليه الدليل)[3].

* **أن قوله (جل جلاله): ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ قاعدة من أصول الدين.**

قال الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله): (هَذِهِ الْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَـى الْجُمْلَـةِ الْحَالِيَّةِ قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهَا مُعَلِّلَةٌ لِلْإِنْكَارِ وَمُقَرِّرَةٌ لِلتَّوْحِيدِ مِثْلُهَا، وَهِيَ قَاعِدَةٌ مِنْ أُصُولِ دِينِ اللهِ -تَعَالَى- الَّذِي بَعَثَ بِهِ جَمِيعَ رُسُلِهِ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الـنَّجْمِ[4]: ﴿ **أَمْ**

(١) اللباب في علوم الكتاب ٨/٥٤٠.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعلامة أبي السعود ٣/٢٠٧.

(٣) محاسن التأويل ٤/٥٥٦، ٥٥٧ بتصرف.

(٤) آيات /٣٦: ٣٩.

لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَرْكَانِ الْإِصْلَاحِ لِلْبَشَرِ فِي أَفْرَادِهِمْ وَجَمَاعَاتِهِمْ؛ لِأَنَّهَا هَادِمَةٌ لِأَسَاسِ الْوَثَنِيَّةِ، وَهَادِيَةٌ لِلْبَشَرِ إِلَى مَا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ سَعَادَتُهُمُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالْأُخْرَوِيَّةُ، وَهُوَ عَمَلُهُمْ)[1].

* <u>أن الآية الأخيرة من هذا الختام مبينة لبعض أحوال البشر.</u>

ويذكر ذلك الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) **حيث يقول في قوله** (رحمه الله): ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ** ﴾: (هَذِهِ الْآيَةُ مُبَيِّنَةٌ لِبَعْضِ أَحْوَالِ الْبَشَرِ الَّتِي نُعَبِّرُ عَنْهَا فِي عُرْفِ هَذَا الْعَصْرِ بِالسُّنَنِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَقَدْ عُطِفَتْ عَلَى مَا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهَا فِي سِيَاقِ تَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ وَإِبْطَالِ خُرَافَاتِ الشِّرْكِ)[2].

* <u>أن في الآية الأخيرة من هذا الختام تكريما لبني آدم -جميعا- أي تكريم.</u>

وفي ذلك يقول الشيخ الشربيني الخطيب (رحمه الله): (وقوله -تعالى-: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ** ﴾ بيان لنعمة من نعم الله الكبرى على بنى آدم خاصة؛ إذ جعلهم ﴿ **خَلَائِفَ الْأَرْضِ** ﴾، وفى هذا ما فيه من تكريم لهم، وإحسان إليهم..

وفى قوله -تعالى-: ﴿ **خَلَائِفَ** ﴾ إشارة إلى مكانة الإنسان، وسموّ قدره، وأنه ليس مكرّما في جنسه وحسب، بل هو مكرّم في كل فرد من أفراده..

فكل إنسان هو خليفة الله في هذه الأرض، وأنه -وإن كان عضوا في المجتمع الإنساني- فليس ذلك بالذي يذهب بشيء من مقومات شخصيته، أو يجور على هذا الوضع الكريم الذي وضعه الله فيه.. فهو خليفة الله، أيّا كان

(١) تفسير المنار ٢١٧/٨.

(٢) المصدر السابق ٢٢٠/٨.

مكانه في المجتمع.. غنيا أو فقيرا، عالما أو جاهلا، قويا أو ضعيفا.. إنه خليفة الله في الأرض، ومن واجبه أن يعمل بمقتضى هذه الخلافة، ويجمع إلى يديه أسبابها ومقوّماتها..

هذا هو الإنسان كما تنظر إليه شريعة الإسلام.. إنسان كريم على الله، خلع عليه خلع الخلافة، وتوجه بتاجها، وجعل درة هذا التاج هو عقله الذي يستطيع به أن يبلغ من السموّ ما يشاء.

وإنه لمن ظلم الإنسان لنفسه، ومن استصغاره لوجوده، أن يسفّ وينحدر عن هذا المستوي الكريم الذي رفعه الله إليه، فيتحول إلى كائن حيواني ذليل، يقاد فينقاد، ويستذل فيذلّ، حتى لينعزل عن العالم الإنساني، ويصبح على غير الخلق السوىّ الذي خلقه الله عليه.. ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ* ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ** ﴾[1].

وفى قوله –تعالى–: ﴿ **وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ** ﴾ إشارة إلى أن هذا المستوي الكريم الذي وضع الله –سبحانه– الإنسان فيه ليس على درجة واحدة، وإنما هو درجات، بعضها فوق بعض، وإن كان أدنى هذه الدرجات لا ينزل بالإنسان عن درجة الخلافة التي أعده الله لها، فإن نزل الإنسان عن هذه الدرجة فقد نزل عن إنسانيته، وتخلّى عن مكانه بين الناس..)[2].

---

(١) التين /٤، ٥.

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٣٥٨/٤، ٣٥٩، وقد ورد في المراد من التكريم رأي آخر ذكره الشيخ رشيد رضا (رحمه الله) حيث قال: (وَالْخَلَائِفُ جَمْعُ خَلِيفَةٍ، وَهُوَ مَنْ يَخْلُفُ أَحَدًا كَانَ قَبْلَهُ فِي مَكَانٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ مُلْكٍ، وَفِي الْخِطَابِ وَجْهَانِ: =

* **أن بين آيتي هذا الختام ترابطا قويا.**

قال شيخنا أبو زهرة (رحمه الله): (وختم الآية التي قبلها بأن الله -تعالى- يحكم بين المختلفين يوم القيامة بعد ذلك بين (سبحانه) أن الله -تعالى- هو الذي خلق الأجيال المتعاقبة الذي يخلف بعضها بعضا، وهي متفاوتة فقال -تعالت كلماته-: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ** ﴾)[1].

* **أن في التعبير بالرب دون الإله في قوله (عز وجل): ﴿ قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَبّاً ﴾ إشارة رائعة.**

ويلفت نظرنا إليها شيخنا أبو زهرة (رحمه الله) **بقوله:** (وعبر هنا بقوله: ﴿**رَبًّا**﴾ ولم يعبر بكلمة (إلها) مع أن المقصود هو العبادة، إذ المعنى أبغي غير الله إلها، وهو رب كل شيء؛ للإشارة إلى التلازم بين الربوبية والألوهية، إذ إنهم كانوا يعترفون بأن الله -تعالى- رب كل شيء وخالق كل شيء، ولكنهم يفرقون ذلك عن العبادة، فهم يعتقدون أن الله خالق كل شيء، ولكنهم يعبدون الأوثان،

=(**أَحَدُهُمَا**) أَنَّهُ لِلْبَشَرِ جُمْلَةً، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ -تَعَالَى- جَعَلَهُمْ خُلَفَاءَهُ فِي الْأَرْضِ بِالتَّبَعِ لِأَبِيهِمْ آدَمَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، أَوْ جَعَلَ سُنَنَهُ فِيهِمْ أَنْ تَذْهَبَ أُمَّةٌ وَتَخْلُفَهَا أُخْرَى.

(**ثَانِيهُمَا**) أَنَّ الْخِطَابَ لِلْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَأَنَّهُ جَعَلَهُمْ خُلَفَاءَ لِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ فِي الْمُلْكِ وَاسْتِعْمَارِ الْأَرْضِ، وَهَذَا هُوَ الرَّاجِحُ الْمُخْتَارُ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى- بَعْدَ ذِكْرِ إِهْلَاكِ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾ يونس/١٤، وَفِي مَعْنَاهَا آيَاتٌ أُخْرَى، وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿ **وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ** ﴾ النور/٥٥، وَهَذَا اسْتِخْلَافٌ خَاصٌّ وَذَلِكَ عَامٌّ، ولعل هذه الجملة الأخيرة توفق بين الرأيين) راجع: تفسير المنار ٨/٢٢٠، وهذا لا يتعارض مع كلام الشيخ الشربيني من أن الختام به تكريم لبني آدم -جميعا-.

(١) زهرة التفاسير ٥/٢٧٦٧.

ويقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فقوله -تعالى-: ﴿ **أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا** ﴾ فيه إشارة إلى الربوبية والخلق والتكوين والعبادة، فالمعبود بحق هو الرب الخالق، لَا هذه الأوثان التي تتوهمون فيها سرا وتقريبا، وما هي بشيء.

وقد أكد القصر في العبادة على الله -تعالى- بقوله: ﴿ **وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ وكانت هذه مقدمة منطقية مؤداها، أنه خالق كل شيء، وخالق كل شيء هو المستحق للعبادة وحده؛ لأنه مالك كل شيء)[1].

(١) زهرة التفاسير ٥/٢٧٦٤، ٢٧٦٥.

الخاتمة -نسأل الله تعالى حسنها-

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعـــد

فبعد هذه المعايشة الممتعة والتطوافة الرائعة في هذه الريـــاض النـــضـــرة والأزاهير الفواحة العطرة يطيب لنا -بحمد الله تعالى- أن نسجل بعض النتائج والتوصيات، وذلك فيما يلي:

أما عن النتائج: فمنها:

* أن القرآن الكريم بحر مليء باللآلئ والدرر... في الآيات والـــسور... وأن البحار وغيرها تنفد وتنفد، وعطاء القرآن يزداد ويتجدد... وصدق الله (ﷻ) إذ يقول: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْـدِهِ سَـبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(١)، و-أيضا-: ﴿ **قُل لَّوْ كَـانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِـهِ مَدَداً** ﴾(٢).

والمطلوب منا لنقف على ذلك أن نعايش هذا الكتاب ونعيش معه، وأن نتدبر حروفه وكلماته، وسوره وآياته... وفى ذلك ذكرى للذاكرين.

* أن العلوم التي تخدم كتاب الله -تعـــالى- عديـــدة لا يمكـــن حـــصـــرها أو استقصاؤها، بيد أن بعضها بحاجة منا نحن المعاصرين إلى أن نجليه ونوضحه،

(١) لقمان /٢٧.

(٢) الكهف /١٠٩.

ونسبر أغواره، ونلج غماره؛ لنـــدرك حكمـــه وأســـراره، ونهتـــدي بـــضيائه وأنواره...

وذلك مثل موضوعنا فقد كتب فيه القدامى صفحة أو صفحتين، وحين عشنا معه ودققنا النظر فيه، وأعدنا كتابته استبان لنا بعض ما حواه واشتمل عليه من درر نفيسة، ولآلئ عديدة...

وقد أصاب الدكتور فهد الرومي –وفقه الله– حين قال: (والحق أن كثيرا من المباحث في علوم القرآن لا تزال بحاجة إلى النظر في مسائلها، وإعادة الكتابة فيها، وعدم الاكتفاء والتسليم بما قاله فلان وفلان من غير دليل، وعلوم القرآن أوسع من أن يحيط بها أبناء جيل أو أجيال من البشـــر)[1].

* أن الخواتم على تعددها وكثرتها بعدد وكثرة السور الكريمة يمكن حصـــرها واستيعابها؛ ليسهل على القارئ معرفتها وفهمها... –وهذا ما أثبتناه في البحث الأول بحمد الله تعالى– كما أمكن حصـــر الفواتح المباركة.

* أن الغرض من دراستنا وبحثنا لموضوع علم الخواتم هو إبراز ما فيها مـــن حكم ولطائف، ودقائق ومعارف، وأسرار وفوائد... وما يترتب على ذلك كلـــه من إعجاز التنزيل العزيز –وهو كذلك ولا ريب– في خواتم سوره ونهاياتهـــا، كما أنه معجز في مفتتحها وبداياتها، وفى كلماته وحروفه كلها...

وعلى هذا فلا يمكن لأي مخلوق –مهما كان علمه وبلغ شأوه– أي يبدل خاتمة مكان خاتمة، أو آية مكان آية، أو كلمة مكان كلمة، أو حرفا مكـــان حـــرف... الخ؛ لأن الإعجاز –حقا وصدقا– في هذا الترتيب المحكم، والتنـــسيق الـــدقيق، والنظم الفريد، والنسج العجيب... الذي أنزله الحكيم الحميد، وفـــصله الحكـــيم

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم للدكتور/ فهد الرومي ص ٤٦.

الخبير (ﷻ)، وقال عنه -بعد ذلك-: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[1].

وما أروع كلام الإمام ابن القيم (رحمه الله): (فتبارك من أودع كلامه من الحكم والأسرار والعلوم ما يشهد أنه كلام الله، وأن مخلوقا لا يمكن أن يصدر منه مثل هذا الكلام أبدا)[2].

وقوله (رحمه الله) **-أيضا-**: (فتبارك من أودع كلامه من الأسرار ما يشهد بأنه تنزيل من حكيم حميد)[3].

* أن الحكم والأسرار والفوائد التي وقفنا عليها من خلال النماذج التي ذكرناها لعلم الخواتم هي فيض من غيض، وقُل من كثر من حكم شتى وأسرار عدة وفوائد كثيرة قد تتجلى لغيرنا إذا عرض لموضوعنا، ويبقى -بعد ذلك- كثير وكثير -أيضا- لا يعلمه إلا الله (ﷻ) وحده فهو -وحده- أعلم بحقيقة المراد من كلامه (ﷻ).

ولله در القائل:

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ** يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

* أن تراثنا العلمي الأصيل من كتب علوم القرآن والتفاسير وغيرها كثير من المصنفات والمؤلفات التي عنيت بكتاب الله -تعالى- مليئة ومكتظة بالأسرار والحكم والدقائق... وما علينا إذا أردنا معرفة شيء منها أو الوقوف عليها إلا أن نولي وجوهنا شطرها، وأن نقلب صفحاتها ففيها الخير كله، والسعادة كلها؛ إذ لا سعادة تضاهي الحياة في رحاب كتاب الله -تعالى-

---

(١) الحجر /٩.

(٢) بدائع الفوائد للإمام ابن القيم ٧٤/١ بتصرف يسير.

(٣) بدائع الفوائد ٢٤/٢.

* أن هذا الموضوع أبان عن مزج كبير وربط كثير بين عِلْمين جليلين لا غناء لنا عنهما، هما علوم القرآن الكريم وعلم التفسير، ولا ريب أن العلاقة بينهما قديمة، وليست جديدة، وإنما مقصدنا من ذلك هو إخراج هذا المزج والترابط إلى عالم الواقع وتجسيده أمام الناس يقرؤونه ويرونه ويوقنون به.

وأما التوصيات: فمنها:

ما نوصي به أنفسنا وجميع الباحثين -ولا سيما- المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن الكريم أن يواصل الجميع البحث والتنقيب عن أسرار علم الخواتم، ويجسدوها للناس عامة -كما جسدوا أسرار علم الفواتح- ليقفوا على عظمة التنزيل، وروعة الإعجاز، ودقة الأسلوب، وحسن الخواتم... فيزدادوا إيمانا فوق إيمان، ويقينا فوق يقين... ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾[1].

وفى الختام: أسأل الله -تعالى- أن يكون هدفنا من موضوعنا قد بان واتضح، وأن نكون -حقا- قد أفدنا بعض اللآلئ والدرر والحكم والأسرار المنوطة بهذه الخواتم التي عرضنا لها، ووقفنا -بعد- على لون من ألوان إعجاز قرآننا فيها... فإن كان الأمر كذلك -صدقا- فالفضل لله -وحده- فمنه التوفيق والسند، والعون والهدى والمدد... وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان... وحسبي -أولا- أنني اجتهدت- ومن اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر-، وحسبي -أيضا- أنني بشر أصيب وأخطئ ما لم يحمني القدر... وآخر دعوانا ﴿ **أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[2].

وصلى الله -تعالى- على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

(١) المطففين /٢٦.

(٢) يونس /١٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

*** كتب التفسير**

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعلامة أبى السعود= محمد ابن محمد بن مصطفي ت ٩٨٢ه ، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- أسرار ترتيب القرآن للإمام السيوطي= عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت٩١١ه ، نشر دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

- التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور= محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي ت١٣٩٣هـ، نشر الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل للعلامة ابن جزي= محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله ابن جزي الغرناطي ت٧٤١هـ، تح: الدكتور/ عبد الله الخالدي، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الأولى ١٤١٦هـ.

- التفسير القرآني للقرآن للشيخ الخطيب= عبد الكريم يونس الخطيب، ت بعد ١٣٩٠هـ، نشر دار الفكر العربي، القاهرة.

- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام الرازي= محمد بن عمر ت٦٠٦هـ، نشر دار الكتب العلمية، طهران، الثانية.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور/ محمد سيد طنطاوي ت٢٠١٠م، نشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الأولى.

- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي= محمد بن أحمد ت٦٧١هـ ، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

– السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني= محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ت٩٧٧هـ، نشر مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة ١٢٨٥هـ.

– اللباب في علوم الكتاب لابن عادل= عمر بن علي بن عادل الدمشقي ت٧٧٥هـ، تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام ابن عطية= عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي ت٥٤٢هـ ، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢٢هـ.

– أنوار التنزيل وأسرار التأويل للعلامة البيضاوي= عبد الله بن عمر ابن محمد البيضاوي ت٦٨٥هـ، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى ١٤١٨هـ.

– تفسير البحر المحيط للإمام أبى حيان= محمد بن يوسف ت٧٤٥هـ، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

– تفسير الشعراوي للشيخ الشعراوي= محمد متولي الشعراوي ت١٤١٨هـ، نشر مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧م.

– تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للشيخ رشيد رضا= محمد رشيد ابن علي رضا ت١٣٥٤هـ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

– تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير= إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ ، تح: سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

- تفسير المراغي للشيخ المراغي= أحمد بن مصطفى المراغي ت١٣٧١هـ ، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الأولى ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الألوسي= محمود بن عبد الله شهاب الدين ت١٢٧٠هـ ، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي= عبد الرحمن بن علي ابن محمد ت٥٩٧هـ ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة ١٤٠٤هـ.

- زهرة التفاسير للشيخ أبي زهرة = محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ت١٣٩٤هـ، نشر دار الفكر العربي.

- فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان= محمد صديق خان بن حسن ابن علي بن لطف الله الحسيني البخاري ت١٣٠٧هـ، عني بطبعهِ وقدم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، نشر المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت.

- محاسن التأويل للإمام القاسمي= محمد جمال الدين بن محمد سعيد ابن قاسم الحلاق القاسمي ت١٣٣٢هـ، تح: محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٨هـ.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للعلامة البقاعي= إبراهيم بن عمر ت٨٨٥هـ ، ط المكتبة التجارية، مكة المكرمة، الثانية ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

*** كتب الحديث الشريف وشروحه**

- الجامع الصحيح المختصر للإمام البخاري= محمد بن إسماعيل ت٢٥٦هـ، تح: د/ مصطفي ديب البغا، نشر دار ابن كثير، اليمامة، الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

– سنن ابن ماجه للإمام ابن ماجه= محمد بن يزيد القزويني ت٢٧٣هـ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

– سنن الدارمي للإمام الدارمي= عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي ت٢٥٥هـ، تح: حسين سليم أسد الداراني، نشر دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الأولى ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م.

– صحيح مسلم للإمام مسلم= مسلم بن الحجاج ت٢٦١هـ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

– فتح الباري شرح صحيح البخاري لشيخ الإسلام ابن حجر= أحمد بن علي ت٨٥٢هـ، نشر دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.

– مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن حنبل= أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني ت٢٤١هـ، تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، وآخرين، إشراف د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

– معالم السنن للإمام الخطابي= حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ت٣٨٨هـ، نشر المطبعة العلمية، حلب، الأولى ١٣٥١هـ- ١٩٣٢م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البحث باللغة العربية	٨٢٧
البحث باللغة الإنجليزية	٨٢٨
* **مقدمة** وتشمل: أهمية الموضوع، وأسباب مواصلة الكتابة فيه، وأهدافه، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.	٨٢٩
* **المبحث الأول:** لآلئ ودرر ختام سورة النساء.	٨٣٣
* **المبحث الثاني:** لآلئ ودرر ختام سورة المائدة.	٨٤٧
* **المبحث الثالث:** لآلئ ودرر ختام سورة الأنعام.	٨٥٦
* **الخاتمة**	٨٦٨
* **المصادر والمراجع**	٨٧٢
* **فهرس الموضوعات**	٨٧٦